أدب الانحلال

كان مقرراً أن يذاع هذا الحديث من محطة الاذاعة المصرية في الساعة الثامنة من مساء ١٠ من شهر أغسطس ١٩٥٢ ، ولكن جو المحطة لم يكن قد تطهر بعد الى الحد الذي يسمح باذاعة مثل هذا الحديث ! إن الكثيرين هناك يحسبون أنفسهم مقصودين بوصف « العبيد » . كما ان الحماية ما تزال مفروضة على الاصوات الدنسة التي تذيع على الناس : « الدنيا سيجارة وكاس » !

أدب الانحلال هو في الغالب. أدب العبيد : عبيد الطغيان ، او عبيد الشهوات . وحين تستذل النفس البشرية لطاغية من طغاة الأرض ، او لشهوة من شهوات الجسد ؛ فإنها تعجز عن التحليق في جو الحرية الطليق ، وتلصق بتراب الأرض ، وترتكس في وحل المستنقع : مستنقع الشهوة ، او مستنقع العبودية سواء .

فأدب الانحلال على هذا هو أدب العبودية ، وهو لا يروج إلا حين تفرغ الشعوب من الرغبة او من القدرة على الكفاح في سبيل مثل أعلى ، مثل أرفع من شهوة الجسد ، وأعلى من تملق الطغيان ، لتحقيق مطمع صغير ، او مطمح حقير ... أي عندما

تصبح « الدنيا سيجارة وكاس » او تصبح الحظوة عند الطغاة أمنية المتمني في دنيا الناس !

عندئذ يظهر في الأمة كتّاب ، ويظهر في الأمة شعراء ، ويظهر في الأمة فنانون .. يلبون هذا الفراغ من المثل العليا ، ويمثلون هذا الارتكاس في حمأة الشهوة او حمأة العبودية . وعندئذ يستمع الناس الى هؤلاء الكتاب والشعراء والفنانين . لأنهم يصورون مشاعرهم ، ويصورون أحلامهم ، ويزينون لهم الراحة من الكفاح ، والاطمئنان الى الدعة ، والإخلاد الى حياة الفراغ والترهل والانحلال .

إن هؤلاء الكتاب والشعراء والفنانين ليقومون حينئذ بمهمة تخدير الشعوب وتنويمها . سواء سبّحوا بحمد الطغاة ، او سبحوا بحمد الشهوات ، فأما حين يسبّحون بحمد الطغاة فهم يزيفون الواقع على الشعوب ، ويخفون عنها شناعة الطغيان وقبحه ، ويصدون عن الثورة عليه او الوقوف في وجهه .. وأما حين يسبحون بحمد الشهوات ، فهم يخدرون مشاعر الشعوب ، ويستنفدون طاقتها في الرجس والدنس ، ويدغدغون غرائزها فتظل مشغولة بهذه الدغدغة ، لا تفكر في شأن عام ، ولا تحس بظلم واقع ، ولا تنتفض في وجه طاغية لتناديه : مكانك فنحن هنا ! فالشعب المستغرق في ذلك الخدر اللذيذ ليس هنا ، وليس كذلك هناك ؟

والتاريخ يشهد ؛ أن الطغيان يعلي دائماً لهذا الصنف من الكتاب والشعراء والفنانين ، ويهيء لهم الوسائل ، ويخلق لهم

الجو الذي يسمح لهم بالعمل : جو الفراغ ، والترف، والانحلال.

عندما أراد الأمويون أن يأمنوا أهل الحجاز ، وأن يستبدوا دونهم بالملك ، وأن ينحّوهم عن الحياة العامة ، غمروا سادتهم واشرافهم بالمال والإقطاعيات والهبات ؛ وجلبوا اليهم المغنين ، والملهين والجواري ، وزينوا لهم حياة الدعة والترف . واطلقوا عليهم الشعراء المجان يدغدغون غرائزهم في القصور بأناشيد الشهوة . وفي الوقت ذاته انطلق الشعراء يمدحون الملوك الطغاة ويسبّحون بحمدهم ، ويصوغون حولهم الهالات .

والتاريخ يعيد نفسه . وهكذا كان في حاضر الأوان .. كان في مصر طاغية صغير ؛ كان يعبد ذاته ، ويقدس شهواته . وكان يريد أن يحول هذا الشعب الى عشرين مليوناً من العبيد .

عندئذ انطلق كتاب وشعراء وفنانون ، يسبحون بحمد الطاغية الصغير ، ويسجدون له من دون الله . ويخلعون عليه من صفات الله . سبحانه ! ما لا يجرؤ مسلم أو مسيحي على النطق به ، حياء من الله .

وحينئذ انطلق كذلك كتاب وشعراء وفنانون ، يسبحون بحمد الشهوة ويعبدون اللذة ، وعندئذ استمع الناس الى أغنيات تقول : « الدنيا سيجارة وكاس » و « انسى الدنيا » وما الى ذلك من ادناس وأرجاس .

إن التسبيح بحمد الطاغية ، والتسبيح بحمد الشهوة ؛ لم يكونا منفصلين ، ولا غريباً أحدهما عن الآخر .. لقد كانت فترة

الحلال وأدب الحلال. إنها العبودية ذات طبيعة واحدة: عبودية الشهوة ، أو عبودية الطغيان .

• • •

فإذا نحن أردنا أن نكافح أدب الانحلال ، فيجب أن نكافح أولاً أسبابه في حياة الأفراد أو حياة الشعوب . يجب أن نكافح روح العبودية في الضمير الإنساني ، نكافح عبودية الشهوة فنحرر الضمير البشري من الخضوع لها. فالإنسان انما صار إنساناً بتعاليه على ضرورات الحيوان . والتربية الدينية هي الطريق الأنجع والاقرب الى تقوية روح الإنسان ، وتساميه على ضرورات الحيوان .

ونكافح عبودية الطغيان . فالطغيان يحمل معه دائماً تشجيع الانحلال والدعة والترهل ؛ كي يبقى هو في أمان من انتفاض الكرامة ، وانبثاق الحرية ، والانتقاض على العسف والطغيان .

وشيء آخر نملكه اللحظة :

لقد عاد الذين كانوا يسبحون بحمد الطاغية الصغير ، ويعاون له في البغي والعدوان ، ويمجدون اسمه ويخلعون عليه من صفات الله الواحد القهار .. عاد هؤلاء هم بأنفسهم يلعنون الطاغية ، ويطلقون ألسنتهم فيه ، ويمزقون عنه أردية المجد الزائفة التي ألبسوه إياها .

هذا نفسه لون من ألوان الانحلال ، وصورة أخرى لأدب الانحلال . هؤلاء لم يخرجوا في الاولى أو الثانية عن أن يكونوا عبيداً منحلين . عبيداً يحنون ظهورهم لسوط السيد يلهب به

جلودهم ، فلما ان سقط السوط من يده — رغم أنفه — التقطه العبيد ، وداروا به يبحثون لهم عن سيد جديد !.. سيد جديد يلهب جلودهم بالسوط ، ليحرقوا له البخور ، وينثروا من حوله الزهور ! .

هؤلاء هم ممثلو أدب الانحلال . وهؤلاء هم الذين يجب أن يقصيهم الشعب عن الإنشاد له في العهد الجديد. عهد العزة والقوة والاستعلاء ، عهد التحرر من عبودية الطغيان ، والتحرر من عبودية الشهوة اللتين قد تجتمعان او تفترقان ، فتمهد إحداهما للأخرى ، وتهيء لها النفوس والأذهان .

أجل ينبغي ألا نسمح لهؤلاء العبيد بالانشاد للشعب في العهد الجديد ، ولا أن نغفر لهم تمريغ جبهة الادب والشعر والفن في المستنقع الآسن . فكل غفران لهؤلاء هو تنازل عن مبادىء الثورة الجديدة ، وكل استماع لهم هو خيانة للمثل الجديدة .

ولا يقل أحد : إنهم كانوا معذورين في تمريغ الادب والفن والشعر والإنسانية في ذلك الوحل ، فلقد كان باستطاعتهم أن يسكتوا ، إن لم تبلغ بهم الرجولة أن يكافحوا .

إن الاعتذار لهم على هذا النحو تبرير للجريمة ، التي يمكن اغتفارها للتجار لا لقادة الفكر وزعماء الأدب والكتاب والشعراء والفنانين .

إن من حق الثورة علينا ان نتذكر ولا ننسى . نتذكر شناعة الجريمة ، شناعة الانحلال الدنس .

إن الديدان والحشرات التي عاشت طويلاً في المستنقع كفيلة بتدنيس كل مقدس ، إذا نحن سمحنا لها بالحياة مرة أخرى في الأرض الطيبة ، التي يجب أن تخلو من الديدان والحشرات .